المبدعون لا يكتشفون.. لماذا؟

د. زيد بن محمد الرماني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سلسلة المهارات (1)

المبدعون
لا يكتشفون
لماذا ؟

إعداد

أ . د / زيد بن محمد الرماني

المستشار الاقتصادي

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

1440هـ/ 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يصطبغ تفكير معظم الأمم اليوم بالصيغة التطورية، فالبلاد النامية والتي ظلت قروناً عديدة ترزح تحت نير الفقر والركود، أصبحت الآن في حالة تحرر من الفقر والجهل والمرض والسيطرة، ولم تعد تميل إلى أن تجعل مستقبلها رهناً بقوى السوق أو نزوات البيئة الطبيعية.

كما أنَّ الدول المتقدمة على حد سواء تعمل أيضاً على النماء في أسرع وقت وعلى أوسع نطاق ممكن. ولا شك أن مطامحها لم تعد مرتبطة بالأرض، بل امتدت إلى كشف الفضاء الخارجي.

وهذا السعي العالمي إلى التحرك نحو الأمام إنما هو في جوهره ثورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، ثورة أشعلها ازدياد الطموح إلى التقدم الاقتصادي والاجتماعي، وقامت على أساس الإيمان المتفائل بأنَّ الإنسان في قرن العلوم هذا يستطيع أن يتحرك إلى الأمام في وثبات واسعة، وليس في مجرد خطوات وئيدة.

يقول فردريك هاربيسون في كتابه ((التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادي)): إنَّ شعار الثورة العالمية الحالية هو التطور.

وهذا الشعار يعني أموراً كثيرة تختلف باختلاف الجماعات، فهو يحمل في كثير من البلاد معنى التصنيع ويرمز في بلاد أخرى إلى تحقيق الاستقلال، كما يتضمن في غيرها فرص التعليم أو إقامة سد عظيم أو بناء ناطحات السحاب ومصانع الصلب أو إقامة شبكات التليفزيون.

كذلك قد يعني التطور الانتقال من الريف إلى المدن، وهو بلا شك يتضمن تحقيق الاتصال الفوري على نطاق عالمي والسفر بالطائرات النفاثة.

ويميل علماء الاجتماع إلى النظر إلى التطور على أنه عملية مسايرة العصر، ويركزون عنايتهم بالدرجة الأولى على التحول الذي يطرأ على النظم الاجتماعية، في حين يميل علماء الاقتصاد إلى معادلة التطور ومسايرة العصر بالنمو الاقتصادي ويهتمون قبل كل شيء بأمور مثل الادخار والاستثمار والدخل الوطني والانتاج وميزان المدفوعات.

إن تنمية الموارد البشرية تعني عملية زيادة المعارف والمهارات والقدرات لدى جميع الناس في المجتمع. ويمكن وصفها من الناحية الاقتصادية بأنها تجميع رأس المال البشري واستثماره بصورة فعالة في تطوير النظام الاقتصادي.

وبعبارة موجزة، يمكن القول بأن تنمية الموارد البشرية هي مفتاح مسايرة العصر.

وتتحقق تنمية الموارد البشرية بطرق كثيرة، أوضحها التربية الشكلية في التعليم الابتدائي فالثانوي فالتعليم العالي، ويأتي بعد ذلك في المرتبة تنمية الموارد البشرية في أثناء الخدمة عن طريق برامج التدريب، أما الوسيلة الثالثة فهي التطوير الذاتي بزيادة المهارات والقدرات بالجهود الشخصية.

للتواصل مع المؤلف :

أ . د / زيد بن محمد الرماني

المستشار الاقتصادي

0505150751

جامعة الإمام محمد بن سعود

zrommany3@gmail.com

المبدع وحقيقة الابداع

من الظواهر التي لا تخطئها العين في حياتنا المعاصرة تلك النزعة إلى النقل والاتباع ومجافاة التجديد والابداع.

ولعله من باب التكرار – والكلام للأستاذ اسماعيل الملحم – القول بأن الأمة العربية في معارك صراعها على البقاء في مختلف الجبهات مدعوة للبحث عن الأساليب والوسائل التي تمكنها من امتلاك القدرة على المبادرة.

ولعله من البدهيات التركيز على أهمية إنتاج الوسائل الضرورية لتثبيت الأقدام في الأجواء الدولية العاصفة، أو إعادة انتاجها سواء كانت تلك الوسائل مما يتعلق بالمهارات أو بالمعارف أو القيم.

ولا يعني هذا أن نرذل ما وصل إليه الآخرون من تقدم في المعارف والتقنيات، بل العمل للوصول إلى تلك الدرجة التي يصير معها بالإمكان المشاركة في انتاج المعرفة بواسطة استثمار النتائج العلمية الحالية والأدوات المنهجية السائدة أينما وجدت، ومحاولة التفكير فيها بما يسمح بإخصابها والمشاركة في تجاوزها بإعادة بنائها.

وإلا فلا أمل في اختراق الحصار الذي أدخلت فيه المجتمعات النامية من سيادة نمط الحياة الاستهلاكي والحضارة الاستهلاكية.

والخروج من دائرة التخلف ومن حمّى المجتمع الاستهلاكي وأتونه ومن الإلحاح على فقدان الموارد أو شحها، يدفعنا للتأكيد على أهمية تعلم الإبداع.

لقد أوجدت الحضارة المعاصرة كثيراً من النتاجات التي أدت إلى تهافت المجتمعات المتخلفة على الفتات الذي تلقيه إليها المجتمعات المتقدمة، فباتت تنتظر لمشاكلها حلولاً جاهزة تستعيرها أو تنقلها أو تقدمها لها تلك البلدان المتقدمة على شكل هبات أو قروض أو ما شابه ذلك أو قاربه، وهي في ذلك إنما تبتعد عن الإبداع وتمعن في الاتباع.

وفي ذلك ما فيه من تعميق الأسباب المؤدية إلى استمرار تخلفها. وقد شعرت بلدان العالم المتقدمة منها والمتخلفة بأهمية تربية الناشئة تربية تمكنهم من استنهاض سائر القدرات الجسدية والعقلية لديهم للإسهام في عمليات البناء والنهوض الاجتماعي والاقتصادي وهي تحاول باستمرار أن تجد الوسائل المناسبة لتعلم الإبداع.

والإبداع من حيث المكانة التي يحتلها داخل عمليات التفكير البشري يمثل أعمق وأوسع وأعقد نوع من أنواع هذا التفكير. من هنا يكون تحديد طبيعة الإبداع صعباً أو أنه ذو طبيعة خلافية. فقد عده عدد من الباحثين شكلاً من أشكال الذكاء العالي أو أنه الذكاء في أعلى مستوياته، ولكنه يجاوز الذكاء.

وليس الإبداع وقفاً على مجال واحد من مجالات السلوك والتفكير، لذلك فإن وصفه بأنه مهارة عقلية، ليس دقيقاً، لأنه يتضمن إضافة إلى ذلك تجليات ذات طبيعة وجدانية كالقدرة على الإحساس بالمشكلات. وإنه لمن المعروف لدى الناس أن المبدع يمتاز بحساسية مرهفة وقدرة على الإدراك الدقيق للثغرات والإحساس بالمشكلات وإثارتها.

ويكشف الباحثون في التحليل العاملي للإبداع عن عدد من الصفات التي يتميز بها المبدعون، منها:

1. القدرة على انتاج أكبر عدد من الأفكار المبتكرة.
2. القدرة على تغيير الحالة الذهنية وفقاً لتغيير المواقف.
3. يكتشف المبدع في الموقف ما لا يستطيعه الآخرون.
4. يبتعد المبدع عن الحلول التقليدية ولا يكرر أفكار الآخرين.
5. يربط المبدع بين جوانب الخبرة ويُعيد بناءها من جديد.
6. يمتاز المبدع بتطوير أدائه الابداعي باستمرار.

ومن الأسئلة التي قد تبدر إلى الذهن، هل تتيسر هذه الصفات للمبدعين تلقائياً أم أنها نتاج وراثي؟!.

الجواب على ذلك يتعلق بما ذكر سابقاً من أنَّ الابداع هو في أحد جوانبه قدرات معرفية، أي أنَّ المبدع يتمتع بثراء في المعلومات وتنوع في المعارف.

وعلى أيّ حال، فالمبدع تتفجر قدراته الابداعية انطلاقاً من رغبة جامحة فيه تطغى على سائر اهتماماته فتشحذ همته وتحفزه على ابتكار ما هو جديد وأصيل.

إنَّ الفجوة الواسعة بيننا وبين الدول المتقدمة تعيدنا باستمرار للسؤال: متى وكيف؟! متى نستطيع أن نواكب التقدم التقني الذي بلغته البشرية؟ وكيف يتسنى لنا أن نتجاوز تخلفنا وتبعيتنا؟!.

لعل هذا السؤال هو من أهم الموجبات للقول بأنا أحوج ما نكون في نهضتنا المعاصرة إلى تعلم الإبداع.

وهذا لا يعني –كما قد يتبادر إلى الذهن – البحث عن طرائق وأساليب للكشف عن المتفوقين وتدريبهم، وإنما يعني أن نبحث عن تلك الطرائق والأساليب التي تولّد الطاقات الابداعية.

إن الحضارة المعاصرة غنية بالأسباب والمشكلات التي يقتضي التعامل معها أن نكون جماعة وأفراداً قادرين على التكيف الايجابي معها. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أ- أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بلغت في عصرنا درجات عالية من التعقيد والتشابك وتعدد المظاهر والمشكلات الناجمة عنها.

ب- مشاكل التلوث البيئي التي تقص مشاعر البشرية وتشكل أخطاراً ماحقة على حاجات الإنسان الأساسية.

ت- التنافس في مجال الإسراف بالطاقة، وما ينتج عنه من أسباب تدعو للبحث السريع عن مجالات ومصادر أخرى والعمل على ابتكار وسائل ناجعة لترشيد استهلاكها.

ث- ما تتعرض له البشرية باستمرار من مخاطر نشوب حروب إقليمية حيناً وعالمية حيناً آخر.

ج- ما تتصف به المواجهات المعاصرة بين الأغنياء والفقراء وبين الأقوياء والضعفاء وما ينجم عن ذلك من مشكلات.

ح- تسارع التقدم المعرفي والتقني ونمو وسائل الاتصال وتنوعها، هذا التسارع الذي لا مندوحة لأية أمة من الأمم من أن تقع تحت تأثير نتائجه بشكل أو بأخر.

إن تعلم الإبداع حاجة فردية من حاجات الإنسان المعاصر، وهو حاجة وطنية وإنسانية للتكيف مع عصر الثورة المعرفية والتقنية، وللقدرة على مغالبة وسائل الهيمنة والسيطرة التي تسعى إليها مراكز التسلط بوساطة تعميم أخلاقيات المجتمع الاستهلاكي وأنماطه التي لا تؤدي في النتيجة إلا إلى المزيد من التقليد والاتباع وإلى المزيد من التخلف والتبعية. وعليه فينبغي علينا أن ننظر إلى تعلم الابداع على أنه أحد أهم عناصر النجاح.

المبدعون لا يكتشفون

يحلو لبعض الناس أن ينظر إلى العمل الإبداعي كما لو أنه يصدر عن عقلية لا يسهل فهمها، أو كأنه وحيٌ وطاقة مليئة بالأسرار والغموض.

والحقيقة أنه لا يوجد في الإبداع، وما يصدر عن المبدع من عمل فني أو علمي أو تقني، ما يتعذر على الفهم أو التحليل.

يقول د. عبدالستار إبراهيم في كتابه ((الحكمة الضائعة)): صحيح أنَّ انتاجات المبدعين والعباقرة تبدو لمن ينظر إليها بالمقاييس العادية شيئاً خارقاً يتعذر على العاديين من البشر أن يأتوا بمثله، لكن العمل الإبداعي له مع ذلك قوانينه وشروطه التي يمكن فهمها واستيعابها ويمكن إخضاعها للبحث والتحليل.

المبدعون متشابهون، على الرغم من اختلافاتهم وعلى الرغم من اختلاف تخصصاتهم. فالغالبية العظمى منهم وصفوا أنفسهم ووصفتهم المقاييس النفسية والشخصية بأنهم تميزوا بدرجة عالية من الاستغراق والتفاني في العمل، اللذين حققا لهم الشهرة والنجاح.

يقول هورلي: يملك معظم العباقرة إحساساً قوياً بالمحافظة على الاتجاه الواحد؛ فهم يعرفون ماذا يريدون أن يحققوه، ولا يسمحون بأي مشتتات تعوقهم عن تحقيق أهدافهم مهما عظمت.

هكذا نجد أنه لا توجد طرق مختصرة للعبقرية، فالعبقرية والإبداعات العظيمة جميعها تتطلب آلاف الساعات من الجهد والتركيز، حتى في الحالات التي يبدو فيها عبقرية المبدع مبكرة.

إذن، العمل الإبداعي نتاج منطقي لجهد نشط وعمليات تركيز شديدة تفوق الجهد العادي. وعندما تهيمن القوة الإبداعية على الإنسان، تفرض هيمنتها وتأثيرها على شخصية الفرد وسلوكه. فبتأثر النشاط الإبداعي، والرغبة في تنمية العمل الإبداعي وإكماله ووضعه في شكله النهائي: مسموعاً، أو مقروءاً، أو متذوقاً، غالباً ما يندفع المبدع في عمليات تركيز شديدة، وانعزال عن الآخرين، وقد تصدر عنه، بسبب هذا الاستغراق الشديد، مظاهر من السلوك، تبدو لعيون الناس كما لو كانت شيئاً غريباً، يصعب على الإنسان العادي أن يستوعبها وفق المقاييس العادية للسواء النفسي.

يُذكر أن أرشميدس كان ينسى بسبب استغراقه الشديد في عمله، حتى الضروريات الحيوية المطلوبة لحياته، بما في ذلك حاجته إلى الطعام.

وتتفاوت مشقات العمل الإبداعي و مخاطره على الصحة النفسية والجسمية في المراحل المختلفة من العمل الإبداعي وإنجازه في صورته النهائية.

فحتى يصل العمل إلى صورته النهائية تمر به فترات صعبة، يطلق عليها الدكتوران ماينى ونوردبيك من السويد، مفهوم اللحظات الحرجة، ويقصد بها تلك اللحظات التي قد يواجهها المفكر ويعانيها ويكون لها تأثير حاسم في نمو العمل وتطوير الفكرة أو تنفيذها، سواء بالاندفاع نحو إنجاز العمل، أو بفقدان الهمة. فاللحظات الحرجة قد تكون إيجابية أو سلبية.

وفضلاً عن ضغوط العمل الإبداعي ذاته، فإنه توجد الضغوط المادية المتعلقة بالكسب والأمان الاقتصادي. يقول لورانس دوريل: إنني أكتب لأعيش، وإلا فمن أين تأتي الشيكات للوفاء بمطالب الحياة، وهي قاسية، لا ترحم.

وإذن، فإن الأمان المادي يُعدُّ عوناً كبيراً للمبدع، وأحد احتياجاته الرئيسة، خاصة في المراحل المبكرة في حياة المبدعين، وفي فترات المعاناة من مطالب الحياة.

والحديث عن الأمان الاقتصادي بالنسبة إلى الإبداع والمبدعين، ليس مقصوداً منه الحديث عن الثروة المترامية والأملاك الشاسعة؛ لأن البحوث تشير إلى أنَّ الرغبة في الكسب المادي المجرد تحتل لدى المبدع مكاناً ثانوياً، وقد يصبح الإسراف والاهتمام الشديد بجمع المال متعارضين ومحبطين للعملية الإبداعية ذاتها وما تتطلبه من إخلاص وتفان , بَيْدَ أنَّ الأمان الاقتصادي للمبدع يكتسب خطورته عندما يتدنى الوضع الاقتصادي إلى درجة تعجزه عن تحقيق متطلباته الصحية والغذائية والترفيهية، أو تؤثر في تكامله الأسري والاجتماعي. هنا ينبغي أن نقلق على الكفاءات الإبداعية التي قد تندثر وتجهض مبكراً.

إن الأمان المادي والمالي أمران ضروريان ولكن إذا جاء اليسر المالي مبكراً، وكنت تحب الحياة وملذاتها أكثر من حبك للعمل والإبداع، فالمسألة تتطلب على حد قول همنجواي عزيمة قوية لمقاومة المغريات وممارسة نشاطاتك الإبداعية.

تحديات أمام الإبداع

التحدي اللغوي

منذ نشأة الإنسان الأولى كان للغة دورها الحاسم في تطوره البيولوجي ونضجه النفسي وارتقائه الحضاري.

إنَّ اللغة – كما قيل – هي الوجود ذاته، وقد أصبح هذا الوجود مرتبطاً بثقل الوجود اللغوي على شبكة الانترنت، وقديماً قال سقراط لجليسه: تكلم حتى يراك الآخرون وتراهم.

يقول د. نبيل علي في كتاب ((الفجوة الرقمية)): إنَّ اللغة يمكن أن تعني الشيء ونقيضه، إذ هي الداء أو الدواء، فهي إما أن تكون علة العلل وآفة الآفات أو مصدر إشعال الهمم ووسيلة تحقيق الغايات.

وهكذا تواجه اللغة العربية إزاء النقلة النوعية الحادة لمجتمع المعرفة تحدياً مزدوجاً، فقد فرضت عليها معظم التحديات التي تشترك فيها معظم لغات العالم الأخرى، في الوقت ذاته الذي تعاني فيه أزمة حادة: تنظيراً وتعجيماً وتعليماً وتوظيفاً وتوثيقاً، وقد أظهرت الانترنت، سواء على صعيد البحث أو البث، مدى حدة هذه الأزمة الطاحنة، التي ترسخت حتى كادت تصبح عاهة حضارية شوهاء، وهو ما حدا تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني على أن يخلص إلى أن انتشال اللغة العربية من أزمتها الراهنة يُعد شرطاً أساسياً للحاق المجتمعات العربية بركب مجتمع المعرفة.

بَيْدَ أننا نؤكد أن اللغة العربية قادرة على أن تتطور وقد شهد القرن التاسع عشر محاولات جادة للإصلاح اللغوي ضد حركة التتريك لإحلال التركية بدلاً من اللغة العربية في نظم التعليم والدواوين الرسمية.

ومغزى أن اللغة ستظل دائماً مسؤولية الجماعة الناطقة بها، وعلينا أن نقر بأن إخفاقنا اللغوي هو إخفاق للمجتمع بأسره: إخفاق المجمع والجامع والجامعة، وإخفاق المنزل والفصل والمكتب والمصنع، وإخفاق المثقفين وقادة الرأي وعلى رأسهم المصلحون اللغويون الذين عجزوا عن تشخيص دائنا اللغوي واقتراح العلاج الناجع له.

اللغة تحمل العالم في جوفها، بكائناته وأحداثه وثوابته ومتغيراته وحقائقه وأوهامه، واللغة – كما قيل – برميل بلا قاع، كلما تعمقنا فيها ازدادت غوراً، وقد احتار العقل البشري – وما زال – في حقيقة أمرها سواء من حيث وظيفتها أو ماهيتها، فكان أن تعددت أوصاف هذه الوظيفة: من وعاء للفكر ومرآة للعقل وأداة للتواصل.

لقد أثمر التفاعل العلمي بين اللغة والفروع العلمية المختلفة عدة نماذج لغوية، أسهم في ظهورها، بصورة مباشرة وغير مباشرة، والتوسع في استخدام الحاسوب في المجال اللغوي وما تتطلبه من تمثيل اللغة بصورة منضبطة، تلبية لمطالب المعالجة الآلية.

خلاصة القول، فقد حققت نظم معالجة اللغات الطبيعية آلياً إنجازات ملموسة على صعيد اللغة المكتوبة وبدرجة أقل على صعيد اللغة المنطوقة، وقد حققت معالجة اللغة العربية آلياً نجاحاً تقنياً واقتصادياً ملحوظاً.

تحديات أمام الإبداع

التحدي التربوي

التربية والتنمية صنوان في مجتمع المعرفة، واقتصاد قائم على المعرفة يعني اقتصاداً قائماً على التعليم، وذلك نظراً إلى كون العنصر البشري يعد من أهم مقوماته.

فإذا كانت المعرفة هي محرك مجتمع المعرفة، فالتعليم هو وقودها، وإذا كانت التقنية هي الآلة الجديدة لعدم المساواة الاجتماعية، فالتعليم – في المقابل – هو أعظم الوسائل لتحقيق هذه المساواة.

لقد أصبح التعلم من المهد إلى اللحد، وما كان لهذا الشعار أن يتحقق لولا ما أنعم الله عز وجل به علينا من توافر تقنية المعلومات والاتصالات، وخاصة الانترنت من فضاء تعلمي يتيح العديد من فرص مواصلة التعليم أمام الجميع: من ممارسة الهوايات وتحصيل المعلومات العامة إلى اكتساب المهارات الدقيقة والمعارف العميقة، وكثر الحديث عن الجامعات المفتوحة وجامعات الهواء الطلق وجامعات بلا جدران ومدارس بلا أسوار وجامعات شعبية وجامعات عمالية وصناعية وجامعات العمر الثالث ومراكز المعرفة الريفية ومشروعات المدن والقرى المتعلمة وجامعات وفصول خائلية وشبكات تعليم وتدريب عن بُعد وخطط وطنية لمحو الأمية ونشر الثقافة التقنية.

جاء في كتاب بعنوان ((الفجوة الرقمية)) لـ د. نبيل علي ود. نادية حجازي: لقد أصبح التعلم الشغل الشاغل للجميع، دول وتكتلات إقليمية ومنظمات دولية، بل مؤسسات تجارية وإعلامية أيضاً. وهو شاغل الكبار حفاظاً على الريادة والتنافسية، وشاغل الصغار أملاً في اللحاق.

إن هناك جهوداً متعددة في الوطن العربي لتعليم الكبار والتعليم المستمر منها: الجامعات المفتوحة، ومراكز خدمة المجتمع، وبرامج محو الأمية الأبجدية وتعليم الكبار، وبرامج محو أمية الحاسوب والثقافة التقنية، والتعليم عن بُعد، والجامعات العمالية، والجامعة الخائلية، وهناك عدد كبير من مراكز التدريب المهني تقوم به مؤسسات تجارية وإعلامية.

وعلى المستوى الوطني هناك عدة جهود تقوم بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منها: مشروع الشبكة العربية للتعليم المفتوح الذي وُضع نظامه الداخلي، وقد أطلقت المنظمة أخيراً برنامجاً وطنياً لنشر الثقافة العلمية والتقنية.

إنَّ النقلة من التعليم إلى التعلم ثورة بكل المقاييس وعلى جميع الجبهات، تنطلق من الفرد المتعلم الذي أصبح من واجبه أن يواصل تعليمه ومن واجب المؤسسات والجماعات أن توفر له بيئة اجتماعية زاخرة بفرص التعلم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن تصبح هذه المؤسسات والجماعات هي الأخرى كائنات متعلمة.

خلاصة القول إنَّ تعلم عصر المعلومات سيتجاوز أسوار المدارس ليتحول العالم على اتساعه فصلاً، وذلك بفضل تقنية المعلومات والاتصالات التي تنقل إلى المدرسة واقع ما يجري خارجها...

تحديات أمام الإبداع

التحدي الثقافي

إنَّ المشروع الفكري للرأسمالية العولمية هو اقناع الناس بأن يستهلكوا أكثر من حاجاتهم البيولوجية الطبيعية ليسهموا في استمرار عملية تراكم رأس المال بغية الربح الخاص. وبكلمات أخرى للتأكد من أنَّ النظام الرأسمالي العالمي مستمر.

إذ تعلن ثقافة فكر الاستهلاك حرفياً إنَّ معنى الحياة يوجد في الأشياء التي تملكها وبذلك، فـ ((أن نستهلك)) يعني أننا أحياء تماماً، ولكي نبقى أحياء تماماً يجب أن نستهلك باستمرار.

إنه الآن أمر عادي تقريباً أن يصنف المجتمع شرقاً أوغرباً، شمالاً أو جنوباً، فقيراً أو غنياً على أنه مجتمع استهلاكي. فعلى ما يبدو إنه ليس هناك شيء أو أحد محصن ضد التحول إلى سلعة، والتحول إلى تجارة، وضد أن يُشرى ويُباع.

إنّ ما يدعى عادة بالثقافات المضادة يندرج في ثقافة الاستهلاك وتثير تهديداً صغيراً. وبالفعل بتقديمها كلاً من التنوع والخيارات الحقيقية والوهمية فإنها تصبح مصدراً لقوة عظيمة للنظام الرأسمالي العالمي وللشراء الشخصي لأولئك القادرين على التمتع بغزارة ووفرة الصيغ الثقافية المتوفرة بشكل غني عن البيان.

لقد استطاعت حركات البيئة في بعض صيغها أن تتحدى الأيديولوجية الثقافية للاستهلاكية بالتأكيد، لكن دليلاً من قمة الأرض في ((ريو)) عام 1992م برهن على أنَّ بعضاً من نماذجها الرئيسة على الأقل ظهر على أنه على طريق عملية الاندماج، وأنَّ أولئك الذين يرفضون الاندماج يهمشون، إنَّ تخضير الشركة في كل من تظاهراتها الأصلية والمزيفة، جار مجراه بشكل جيد، لكن الشركات هي التي تسيطر وبإحكام على العملية وليس الخضر.

إنَ أيديولوجية ثقافة الاستهلاك قد تخدم أدواراً مختلفة لفئات اجتماعية مختلفة وحتى لمجتمعات مختلفة، وبشكل واضح فإن أيديولوجية ثقافة الاستهلاك غير ضرورية لتوضيح لماذا يطعم الجائعون أنفسهم ولماذا يكسو المقرورون أنفسهم بينما هي تساعد فعلاً في توضيح سبب تناول الوجبات السريعة، ولماذا يغرق الناس في الديون من أجل شراء مجموعات عديدة من الملابس والسيارات الغالية.

والأمر الأكثر تحدياً هو اللغز الغامض في سبب تحدي الفقراء الواضح في البلاد الغنية والفقيرة على السواء، للتعقل والاتزان الاقتصادي بشرائهم للماركات العالمية الغالية لكي يزوِّروا إحساساً معيناً بالهوية، شيء لا نستطيع أن ندعوه إلا بالمعنى السوقي للكلمة، رموز الحداثة.

إنَّ مضامين انتشار أيديولوجية ثقافة الاستهلاك والمؤسسات الثقافية التي تبنى عليها من قلب مركزها في العالم الأول والأماكن الأخرى حيث تبنتها الأقليات القليلة المنتفعة، إلى بقية أنحاء العالم، هو تغيير اجتماعي على قدر حقيقي من الأهمية العالمية.

فإن من المهم أن نصوغ نظرية حول أيديولوجية ثقافة الاستهلاك ودورها في قلقلة وتشويش قضية إرضاء الحاجات الأساسية.

إنَّ العولمة فكرة حديثة نسبياً في علم الاجتماع، على الرغم من أنها كانت شائعة لبعض الوقت في فروع معرفية أخرى مثل: دراسات التجارة الدولية والعلاقات الدولية.

والسمة الرئيسة لفكرة العولمة هي أنَّ الكثير من المشكلات المعاصرة لا يمكن أن تدرس بشكل ملائم ووافٍ على مستوى الدول الوطنية، أي بلغة العلاقات الدولية، ولكنها تحتاج لأن تصاغ في نظرية بلغة الإجراءات العالمية دولية النشاط وفق مستوى الدولة الوطنية.

ولقد ركزت أبحاث العولمة على ظاهرتين حديثتين أصبحتا مهمتين في العقود القليلة الماضية:

الأولى: التغيرات النوعية والكمية في الشركات دولية النشاط من خلال إجراءات معينة مثل: عولمة رأس المال والانتاج.

والثانية: تحولات في الأساس التقني والمدى أو المجال العالمي لوسائط الإعلام.

لهذه الأسباب فإن تحليل الاقتصاد والمجتمع العالمي عالمياً بالإضافة إلى تحليلها وطنياً هو أمر غاية في الأهمية.

خلاصة القول، لكي تكون الأنشطة ضد الرأسمالية العولمية فعالة سنكون بحاجة إلى أن نجد صيغاً جديدة لا تعيد انتاج الإخفاقات التي حكى عنها بيجن وكلاود في كتابهما ((حركات الشعب الفقير))، ولكن الأحرى أن نعيد انتاج النجاحات.

تحديات أمام الإبداع

التحدي المهاري

يستطيع النمر أن يسبق الإنسان في العدو، كما يستطيع الأسد أن يقاتل أفضل من الإنسان الأعزل من السلاح، ويستطيع الطائر أن يطير بمجرد الخفق بجناحيه. ولكن الإنسان يمتاز على هذه المخلوقات جميعها وعلى سائر المخلوقات المعروفة بميزة كبرى، تلك هي رُقي مخه.

يقول روتشليس في كتابه (التفكير الواضح): يستطيع الإنسان بفضل هذا المخ الراقي أن ينظم الأصوات المركبة ويكوِّن منها كلاماً ذا معنى يبلغ به أفكاره إلى غيره من الناس، كما يستطيع أن يُسجل هذه الأفكار بالكتابة والطباعة لينقلها إلى سواه، وأن يتأمل هذه الأفكار ويعيد تنظيمها بأشكال شتى ليحصل على معلومات جديدة أو ليصل إلى نتائج عن أشياء لا يستطيع أن يراها أو يسمعها أو يلمسها، وبعبارة مختصرة: إنه يستطيع أن يعقل.

فلقد تمكن الإنسان بفضل قدرته على التفكير، فضلاً عن قدرته على الكلام، وعلى استخدام يديه بمهارة، من أن يخترع السيارات التي تسبق النمر في سرعة عدوها، والطائرات التي تخلف أسرع الطيور وراءها، والآلات الرافعة والمجارف التي ترفع أضعاف ما يستطيع أيُّ حيوان أن يرفعه.

وبفضل قدرته على التفكير استطاع الإنسان أن يتقن صناعة ألوان جديدة من الطعام، وتعلم أن يصطنع لنفسه ملابس من ألياف جديدة مبتكرة، كما توصل بفضل القدرة على التفكير الرياضي والمهارة الهندسية إلى وسائل بناء الجسور والكباري الضخمة وناطحات السحاب والمصانع والمنازل، وغيرها من المنشآت التي يستخدمها في مختلف الأغراض، كما تمكن من أن يستخرج من باطن الأرض ما فيها من حديد وألومنيوم ورصاص ونحاس وقصدير وغيرها من المعادن. وتعلم أن يستخدم الوقود بطرق مأمونة لتدفئة المساكن وتسيير السيارات.

بحق، فلقد مكنت القدرة على التفكير الإنسان من أن ينشئ حضارتنا الراهنة وأن يتغلب على الأمراض ويطيل فسحة العمر، بتوفيق من الله عز وجل، كما مكنته من أن يطلق فنّه في الفضاء وأن يعكف على التغلب على مشكلات الحياة على الكواكب غير الصالحة للحياة. فترى العلماء والمهندسين يكرسون وقتهم كله للتغلب على مشكلة الظروف التي يتوقع أن يقابلها المسافرون في الفضاء.

كذلك ابتكر الإنسان آلات معقدة ليسير بها أغوار الذرة ويقف على أسرارها، ثم استخدام هذه الأسرار في ابتكار وسائل جديدة لتوليد الكهرباء، كما استخدمها في صناعة الأسلحة النووية المدمرة.

على أن القدرة على التفكير لازمة للحياة اليومية كذلك، فالواحد منا تحاصره من كل صوب إعلانات متعددة، تدعوه إلى شراء هذا النوع من الأثاث، أو يأكل هذا الصنف من الطعام، ومقدرة الإنسان على التفكير هي التي تحول دون إنفاق المال في غير وجوهه الصحيحة.

وعندما يحين الموعد، لابد لنا من التفكير الواضح لنستطيع أن نزن ما تقوله الصحف، وما يقوله المرشحون. وعندما نناقش أصدقاءنا في أحداث الساعة سيلعب التفكير الواضح دوراً مهماً في الوصول إلى أحكام معقولة.

وهناك الكثير من الأعمال التي يُعد التفكير الواضح لازماً لها، فالمهندسون ورجال الأعمال والمعلمون والأطباء والميكانيكيون وسائقو السيارات وفي الجملة، كل من يعمل ليكسب قوته، كلهم يحتاجون في أعمالهم إلى القدرة على التفكير. وتحتاج العلوم والرياضيات وغيرها من فروع العلم إلى مستويات عليا من المقدرة على التفكير، وبمضي الزمن تزداد باستمرار نسبة عدد السكان الذين يؤدون أعمالاً تحتاج إلى التفكير المركب.

إننا نعيش في ثورة صناعية من نوع جديد، فهناك أعداد كبيرة من العقول الالكترونية أو العقول العملاقة، وبعض هذه العقول الآلية تؤدي عشرات الآلاف من العمليات الحسابية والمنطقية في الثانية. ويستطيع بعضها أن يدير المصانع آلياً وأن يترجم اللغات ويؤدي أعمالاً سهلة مثل مسك الدفاتر وتبويب المعلومات بسرعة متناهية.

إن هذه الثورة الالكترونية في استخدام المعلومات قد أخذت تغير وجه مجتمعنا الحاضر. ولهذا، فإن الحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى أناس يستطيعون أن يفكروا بوضوح وأن يفهموا هذه الآلات وأن يخططوا لها ما تؤديه من أعمال.

خلاصة القول, في هذا العالم المتغير لابد من أشخاص قادرين على تقويم الحقائق، قادرين في الوقت نفسه على كشف الحقائق الجديدة.

تحديات أمام الإبداع

التحدي الاتصالي

الاتصال – كما قيل – شرط من شروط بقاء الكائن البشري. وقد أصبحت كفاءة المجتمعات تقاس بمدى كفاءة شبكة اتصالاتها، بعد أن باتت هذه الشبكة بمنزلة الجهاز العصبي للمجتمع، ومن دونها تتفكك أوصاله.

أما عن شأنها الحالي، فقد أصبحت نظم الاتصالات أهم عناصر البنى التحتية لإقامة مجتمع المعلومات، وأصبح مدى كفاءتها أهم مؤشر لقياس مدى جاهزية المجتمع لدخول عصر اقتصاد المعرفة، وهي تعد بمنزلة بطاقة العضوية لنادي العولمة.

وربما يفسر هذا النقلة النوعية الحادة التي شهدها العالم في الحقبة الأخيرة على صعيد الاتصالات، وذلك نتيجة للعوامل التالية :

1. ظهور الانترنت التي أصبحت وسيط الاتصال الأول.
2. التحول من السلكي إلى اللاسلكي، المتمثل حالياً في الهواتف النقالة.
3. استخدام الألياف الضوئية ذات السعة الهائلة لتدفق المعلومات.

إنَّ العالم يموج حالياً بقنوات الاتصال، ما بين بحرية وأرضية وكوكبية وما فوق كوكبية، وتغلفه صوبة كثيفة من الأقمار الصناعية، بعضها يبث رسائل إعلامية، ويقيم حلقات الوصل بين أطراف المعمورة من أجل الاتصالات الهاتفية وتبادل المعلومات.

إنَّ الطلب على الاتصالات ينمو بمعدلات متصاعدة وتتضاعف سعة شبكات الاتصالات عالمياً كل ستة أشهر وكل ما كان يجري تبادله عبر شبكة الانترنت في نهاية الثمانينات يُنقل حالياً عبر كابل واحد من الألياف الضوئية، ومن المتوقع أن يتضاعف حجم المعلومات عبر الانترنت مع نهاية عام 2020م. ويوجد الآن حوالي 4.5 مليار صفحة على الانترنت تزداد بحوالي 17.3 مليون صفحة يومياً.

جاء في كتاب ((الفجوة الرقمية – رؤية عربية لمجتمع المعرفة)) لمؤلفيه : د. نبيل علي ود. نادية حجازي: لقد انتشرت تطبيقات المعلوماتية في جميع أرجاء المجتمع محلياً وإقليمياً وعالمياً.

إذ لم تعد نظم الاتصالات تنقل الرسائل والأصوات كما كانت عليه الحال في الماضي، بل أصبحت تقوم أيضاً بخدمات أخرى مثل: نقل الأموال عبر ما يعرف بالتحويل الالكتروني Electronic transfer، ونقل الأسواق، ونقل الحضور حيث يمكن حالياً من خلال الانترنت التواجد عن بعد أو ما يعرف بنقل الحضور Transmission of presence، وذلك بفضل نظم التحكم الآلي والروبوت، وإضافة تقنية ما يعرف

بالرؤوس الناطقة talking head، إلى جانب نقل سلع اقتصاد المعرفة الكترونياً، حيث يجري شحن كثير من سلع اقتصاد المعرفة – حاليا – عبر شبكات الاتصالات عن طريق ما يعرف بأسلوب تنزيل البيانات Downloading، حيث تنقل الكتب والجرائد والبرامج ونتائج الأبحاث العلمية وما شابه.

إنها بحق شبكات اتصالات حاضرنا التي تنقل النص والصوت والشكل.

تحديات أمام الإبداع

التحدي المعلوماتي

نحن نعيش في عصر الصورة، والصورة ليست الآن بألف كلمة كما يقول المثل الصيني، بل بملايين الكلمات، وأصبح للصورة ارتباط بمجال الوسائط والميديا، وارتباط بعالم التربية والتعليم والأخلاق والخيال والإبداع.

إن عالم الصور عالم خصب متعدد الأبعاد، متنوع المجالات، وهو عالم يشتمل على جوانب إيجابية كثيرة، وجوانب سلبية عديدة أيضاً.

وهذا ما جعل عدداً من المفكرين والباحثين يتحدثون عن التأثير البالغ للسينما والتليفزيون والانترنت، خاصة من خلال ما تعرضه من أفلام عنيفة أو خليعة، في سلوك الأطفال والمراهقين، بل الكبار أيضاً.

أما بعض المفكرين الآخرين فقد اهتم ببعض التأثيرات السلبية لعصر الصورة في أنشطة القراءة أو في التفاعل الإنساني الحميم بين البشر أو في بعض عمليات التفكير والإبداع.

وهكذا، فإن لعصر الصورة هذا، الذي سماه المفكر الفرنسي جي ديبور مجتمع المشهد أو مجتمع الفرجة أو العرض أو الاستعراض، الكثير من جوانبه الايجابية والسلبية.

فاليوم، نحن محاطون بالصور، ففي كل زاوية نتلفت إليها تواجهنا الصور، الصور موجودة في كل مكان في البيت، حيث نجد التليفزيون والفيديو، وفي الشارع وملاعب الكرة ووسائل المواصلات، حيث الإعلانات الثابتة والمتحركة، المضيئة وغير المضيئة. لقد أصبحنا نعيش فعلاً في حضارة الصورة كما قال ريتشارد كيرني.

ولم يعد ممكناً أن نفكر في كثير من أمور حياتنا الاقتصادية والتربوية والترفيهية من دون أن نفكر في الصور.

إنَّ يومنا مزدحم بالأخبار التي تتدفق عبر أجهزة التليفزيون، من خلال نشرات الأخبار والبرامج الحوارية والصحف اليومية، وهناك كذلك أخبار المال والاقتصاد.

لقد أصبح عالم النفس البشرية عالماً تشغله صناعة الصورة إلى حد كبير.

يقول الدكتور شاكر عبدالحميد في كتابه ((عصر الصورة)): أظهرت بعض الاحصاءات الحديثة أنه منذ ظهور التليفزيون المتعدد القنوات في الولايات المتحدة لم يشاهد نحو 50% من الأطفال الأمريكيين تحت سن الخامسة عشرة برنامجاً واحداً منذ بدايته حتى نهايته.

إن هذا يدل على وجود حالة من حب الاستطلاع البصري الشديدة التي جعلت هؤلاء الأطفال يتحولون دائماً من قناة إلى أخرى هروباً من الملل، وبحثاً عن الجديد الذي قد يكون موجوداً في قناة أخرى غير الذي قد يكون موجداً في قناة أخرى غير التي يشاهدونها.

إنَّ هناك فرقاً جوهرياً بين صور اليوم وصور الماضي، ذلك لأن صور اليوم تسبق الواقع الذي يفترض أنها تمثله بينما كانت صور الماضي تجئ تالية للواقع ومتوقفة عليه.

لقد أصبح الواقع صورة شاحبة من الصورة. إن الصورة هي الأساس، وليس الواقع، والصورة أصبحت تسبق الواقع وتمهِّد له، الصور تحدث أولاً ثم تحدث المحاكاة لها في الواقع. لم تعد الصورة محاكاة للواقع، بل أصبح الواقع أشبه بالمحاكاة للصور، ويُلحظ هذا في سلوك الشباب الذين يحاكون سلوك لاعبي الكرة وما يرونه في الأفلام والمسلسلات، وفي محاكاة الأطفال سلوك بعض الشخصيات الخيالية في برامج الكرتون وألعاب الفيديو.

وفي مجال الاقتصاد، أحياناً ما نجد في مجتمع الاستهلاك انتاجاً مستمراً للسلع يجري تحت وطأة الحضور الخاص والشهرة الخاصة لماركة أو علاقة تجارية معينة وتحت الإغواء الخاص بالإعلانات المصاحبة لهذه الماركة أو العلامة.

ولقد أصبح الاستعراض خلال السنوات الأخيرة أحد المبادئ المنظمة للاقتصاد والمجتمع والحياة اليومية.

وينشر الاقتصاد القائم على أساس الانترنت العروض بوصفها وسيلة للتشجيع والانتاج وللتوزيع وبيع السلع. وتتدفق العروض بغزارة عبر ثقافة الميديا المتقنة تقنياً لجذب انتباه المشاهدين.

وقد أصبحت الوسائط المتعددة (المالتي ميديا) الجديدة التي توالف بين الإذاعة والراديو والسينما والأخبار التليفزيونية وبرامج التسلية وبرامج الانترنت، أصبحت أعمالاً لافتة للانتباه بدرجة كبيرة، مما عمل على تكثيف ثقافة الميديا.

في كتابه ((ميديا الاستعراض)) يبني كيلنر تصوراته على أساس الأفكار التي قدمها ديبور في كتابه ((مجتمع الاستعراض))، والقائلة إن الاستعراض يوحد ويفسر تشكيلة كبيرة من الظواهر.

وقد استمر مفهوم ديبور الذي ظهر خلال ستينات القرن الماضي يدور وينتشر عبر الانترنت وعبر مواقع أكاديمية وثقافية فرعية عديدة حتى اليوم. إنه مفهوم يصف مجتمع الميديا ومجتمع الاستهلاك المنظم حول الانتاج والاستهلاك للصور والسلع والأحداث المعروضة.

فمع دخولنا الألفية الثالثة أصبحت الميديا مجالاً مذهلاً من الناحية التقنية، كما أنها أصبحت تلعب دوراً يتزايد يوماً بعد يوم في حياتنا اليومية. لقد أصبحت عروض ثقافة الميديا عروضاً تخلب عقول الناس، وتغويهم وتدمجهم في مجتمع الاستهلاك الزاخر بعلامات منهمرة خاصة بعالم جديد من الترفيه والمعلومات والاستهلاك بشكل مؤثر — على نحو عميق — في التفكير والسلوك.

جدير بالذكر هنا قول ديبور إنَّ العرض هو اللحظة التي يحتل فيها الاستهلاك الحياة الاجتماعية. ويؤكد هذا قول مايكل وولف إنه في اقتصاد الترفيه، يمتزج العمل بالتسلية بحيث يصبح عامل الترفيه أحد الجوانب المهمة في الأعمال التجارية.

فمن خلال جعل الاقتصاد مسلياً ومرفهاً، أصبحت أشكال الترفيه كالتليفزيون وحدائق الملاهي وألعاب الفيديو وغيرها من القطاعات الرئيسة في الاقتصاد الوطني لبعض الدول.

ولذا، ففي عالم المال والأعمال الجديد أصبح لعامل المتعة والبهجة قيمة ترجيحية بالنسبة لبعض المنتجات على بعضها الآخر، وهكذا أصبحت المؤسسات الكبرى تسعى من أجل إضفاء البهجة والتسلية والترفيه على إعلاناتها وعلى بيئة العمل وكذا على المواقع الإعلانية التجارية الخاصة بها أو على مواقع الانترنت، وهكذا أصبحت هناك شركات تستخدم حيوانات متكلمة كالقطط والكلاب والضفادع، بحيث أصبح الإعلان عن المنتجات يشبه ما يحدث في مدينة الملاهي من مرح ودهشة وتسلية.

خلاصة القول, كي تنجح المؤسسات التجارية في الأسواق العالمية التي تنازعها المنافسات المستمرة، ينبغي أن تعرض وتدور صورتها واسم ماركتها، لتمتزج التجارة والإعلان في تعزيز عروض الميديا.

تحديات أمام الإبداع

التحدي التقني

في ظل الانخفاض في الأداء الاقتصادي الذي تمر به البلدان الصناعية الكبرى، فإن الحديث عن الاقتصاد الجديد، يحقق انتشاراً متزايداً في كل مكان وعلى كل لسان.

وهناك اليوم تغير جذري في نظرة العالم إلى الاقتصاد القديم، إذ يحاجج المدافعون عن مفهوم الاقتصاد الجديد بحدوث تحول من اقتصاد الموارد إلى اقتصاد المعرفة، وذلك على أساس أنَّ القدرة على الوصول إلى المعلومات ومعالجتها وتحويلها، أصبحت مكوناً أساسياً في صناعة النمو الاقتصادي، على حد قول ديانا فاريل مديرة معهد ماكينزي العالمي في سان فرانسيسكو.

إنَّ الانتشار السريع لشبكة الانترنت مقروناً بالتطورات الهائلة في تقنية المعلومات، قد بلغ بالفعل أبعاداً غيرت وجه الحياة الإنسانية، وخاصة في جانبها الاقتصادي. فالإنترنت تتيح كماً عظيماً من المعلومات ومدخلاً أكثر فعالية لتنظيم المعرفة وتوظيفها بطرائق ما كانت لتخطر على بال أعوام قليلة ماضية. ويتجلى أعظم الأثر في مجال ما يسمى بسلسلة القيمة.

إنَّ مصطلح الاقتصاد الجديد يعود في الأصل إلى فترة الثمانينات حين كان يشير إلى انتقال محركات الاقتصاد من التصنيع إلى قطاع الخدمات.

هذا الانتقال صاحبه الكثير من المخاوف عن تباطؤ الانتاجية الذي سيخلفه اقتصاد الخدمات، نتيجة ارتفاع الأسعار وانخفاض الأجور وتدني معدلات النمو.

وفي عام 1996م نشر مايكل ماندل مقالة في البيزنس ويك بعنوان (انتصار الاقتصاد الجديد)، أكدت على نشوء اقتصاد تحركه التقنية، اقتصاد سريع النمو تنخفض فيه معدلات التضخم، أسماه (الاقتصاد الجديد)، وهو اقتصاد يختلف تماماً بالمضمون عن اقتصاد الخدمات.

ثم إنَّ انتشار التقنيات الحديثة عبر القطاع الصناعي الواحد يخلف أثراً لافتاً على الانتاجية.

ففي قطاع التجزئة، على سبيل المثال، كان العديد من الشركات سريعاً في تبني ماسحات وقارئات خطوط الترميز ونماذج تخطيط موارد المشروع ERP في مجال الموارد البشرية والرواتب والتقارير.

هذه النظم ساعدت على أتمتة العمليات التي كانت تتطلب في الماضي طواقم عمل ضخمة، الأمر الذي أفضى إلى تخفيضات كبيرة في تكاليف اليد العاملة في مختلف قطاعات الصناعية.

ولا يخفى أن استثمارات تقنية المعلومات تعتمد على بعضها بعضاً، وفي الغالب بطريقة معقدة. فالشركات التي تنفذ تطبيقات جديدة متطورة ومكلفة قبل أن تجهز الأساس اللازم، تكون عرضة لخيبة الأمل، فهي إما أن

تفشل في تحقيق الفوائد المتوقعة أوأن تجد نفسها في عمليات التجديد مرة أخرى، في حين أن الشركات التي تسير على نهج منظم وتسلسل استثماراتها بعناية تحصل غالباً على عوائد عظيمة.

إن منهج والت – مارت ((التغيير التدريجي)) في مجال الاستثمار في تقنية المعلومات خلال فترة التسعينات هو مثال ساطع في هذا المجال.

أولا: نفذت الشركة البرمجيات اللازمة لإدارة تدفق المنتجات وتخزينها عبر شبكة مورديها ومخازنها واسعة الطيف.

وحالما قامت بأتمتة تدفق المنتجات ركزت على استخدام تقنية المعلومات في التنسيق بين عملياتها وعمليات مورديها بشكل أكثر إحكاماً، وبذلك رفعت من كفاءتها بحد كبير.

وبهذا التنسيق الأكثر انسياباً استطاعت وال – مارت أن تستثمر بكفاءة في التقنية لتخطيط مزيجها السلعي وإعادة تجهيزه.

أخيراً، بعد مكاملة كل هذه القدرات تبنت الشركة إنشاء مخزن للبيانات يستخدم المعلومات المستقاة من مجموعة من المصادر لمعالجة الاستفسارات المعقدة.

خلاصة القول فإن نجاح استثمارات تقنية المعلومات يعتمد على الخصائص المحددة للصناعة وعلى الممارسات الخاصة بكل شركة على حدة.

ولأجل أن تحقق تقنية المعلومات ما هو مأمول منها ينبغي أن يطبقها المستخدمون والباعة بتعقل وأن يعملوا على تكييفها مع القطاعات ومشروعات الأعمال فرادى ودمجها مع غيرها من الابتكارات في المنتجات.

وسيكون التحدي هو استخدام النظم الحالية بشكل فعال وفي الوقت نفسه، القيام بالاستثمارات الجديدة المنشودة التي تقوي عنصر التميز وتدعم الميزة التنافسية.

فتقنية المعلومات لا تحمل الفرح للجميع، ولكنها إن وجهت بالشكل الصحيح، فبالإمكان أن تكون سلاحاً تنافسياً مهماً.

تحديات أمام الإبداع

التحدي الاقتصادي

لقد أصبحت المعرفة قوة دافعة ومحركاً أولياً للاقتصاد الحديث؛ فهي أهم وسائل زيادة انتاجية عمالة المصانع والمكاتب والحقول والفصول، ومصدر محتوى الرسائل المتبادلة عبر شبكات المعلومات، والمقوم الرئيس للبرمجيات التي تعالج هذا المحتوى، وهناك العديد من الشواهد على مدى الأهمية الاقتصادية لمورد المعرفة، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الدول أو العالم بأسره.

فعلى مستوى الأفراد، قد زاد ثقل العمالة الذهنية، وتعاظم سطوة الرأسماليين الذهنين الجدد صنيعة اقتصاد المعرفة، ويكفي سنداً لهذا أن ثلاثة من أغنى أغنياء العالم العشرين بنوا ثرواتهم من صناعة البرمجيات.

وعلى سبيل المؤسسات فقد تضخم العائد الاستثماري ويكفي أن يذكر أنَّ إجمالي القيمة الرأسمالية لخمس شركات تعمل في مجال تقنية المعلومات والاتصالات قد تضاعف ما يقرب من 60 ضعفاً خلال عشر سنوات من 12 بليون دولار سنة 1987م إلى 700 بليون دولار عام 1997م.

أما على مستوى اقتصاد الدول، فقد ازدادت مساهمة عائد قطاع المعلومات في الناتج المحلي الإجمالي.

وعلى مستوى العالم، فقد نما الانفاق العالمي على تقنية المعلومات والاتصالات وفقاً لتقرير التنمية الانسانية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الانمائي من 3.5 تريليون دولار عام 2003م إلى 6 تريليونات دولار عام 2013م.

من وجهة نظر أخرى، تلعب الانترنت دوراً رئيساً في اقتصاد المعرفة خاصة فيما يتعلق بالمنتجات الرقمية التي يمكن توزيعها عبر الشبكة، كالبرمجيات والكتب والخدمات المصرفية والخدمات السياحية والخدمات التعليمية وما شابه، ومن أبرز المؤشرات على الأهمية الاقتصادية للإنترنت أنها ولدّت في الولايات المتحدة ما يزيد على 5 ملايين فرصة عمل، بما يوازي ضعف عمالة صناعة العقارات.

لقد غيرت الانترنت بصورة جذرية من أسلوب عمل المؤسسات الاقتصادية، واستخدمت نماذج جديدة للقيام بنشاط الأعمال، وهكذا امتزج اقتصاد المعرفة الذي يمثل – بصورة تقريبية – اقتصاد شق المحتوى، مع ما يمكن أن نطلق عليه (اقتصاد الانترنت) الذي يمثل في هذه المنظومة الاقتصادية الجديدة – وبصورة تقريبية – عنصر التوزيع القائم على شق الاتصالات.

جاء في كتاب (الفجوة الرقمية) لمؤلفيه د. نبيل علي ونادية حجازي: بصورة عامة يمكن القول إن العناصر المادية في الاقتصاد بدأت تختفي تماماً فالأموال – على سبيل المثال – قد تم تحويلها من العملة الذهبية إلى غطاء الذهب،

فالعملة الورقية، حتى وصل الأمر في نهاية المطاف إلى تحويل الأموال الكترونياً لتصبح مجرد إشارات رمزية، يجري تبادلها بين المصارف، وقيود رقمية تسوى من خلال غرف المقاصة.

ولا شك أن التعامل مع العناصر اللامادية غير المحسوسة أكثر تحدياً، نظراً لغياب الأسس الكمية لحسابها، وصعوبة التنبؤ باحتمالاتها المتعددة وآثارها الجانبية غير المتوقعة.

خاتمة

ليس الإبداع وقفاً على مجال واحد من مجالات السلوك والتفكير، لذلك فإن وصفه بأنه مهارة عقلية، ليس دقيقاً، لأنه يتضمن إضافة إلى ذلك تجليات ذات طبيعة وجدانية كالقدرة على الإحساس بالمشكلات. وإنه لمن المعروف لدى الناس أن المبدع يمتاز بحساسية مرهفة وقدرة على الإدراك الدقيق للثغرات والإحساس بالمشكلات وإثارتها.

ولذا شعرت بلدان العالم المتقدمة منها والمتخلفة بأهمية تربية الناشئة تربية تمكنهم من استنهاض سائر القدرات الجسدية والعقلية لديهم للإسهام في عمليات البناء والنهوض الاجتماعي والاقتصادي وهي تحاول باستمرار أن تجد الوسائل المناسبة لتعلم الإبداع.

إن تعلم الإبداع حاجة فردية من حاجات الإنسان المعاصر، وهو حاجة وطنية وإنسانية للتكيف مع عصر الثورة المعرفية والتقنية، وللقدرة على مغالبة وسائل الهيمنة والسيطرة التي تسعى إليها مراكز التسلط بوساطة تعميم أخلاقيات المجتمع الاستهلاكي وأنماطه التي لا تؤدي في النتيجة إلا إلى المزيد من التقليد والاتباع وإلى المزيد من التخلف والتبعية. وعليه فينبغي علينا أن ننظر إلى تعلم الابداع على أنه أحد أهم عناصر النجاح.

إننا أحوج ما نكون في نهضتنا المعاصرة إلى تعلم الإبداع.

للتواصل مع المؤلف :

أ . د / زيد بن محمد الرماني

المستشار الاقتصادي

0505150751

جامعة الإمام محمد بن سعود

zrommany3@gmail.com

فهرس

مقدمة 2
المبدع وحقيقة الابداع 4
المبدعون لا يكتشفون 7
تحديات أمام الإبداع 9
التحدي اللغوي 9
التحدي التربوي 10
التحدي الثقافي 11
التحدي المهاري 13
التحدي الاتصالي 15
تحديات أمام الإبداع 17
التحدي المعلوماتي 17
التحدي التقني 20
التحدي الاقتصادي 22
خاتمة 24
فهرس 25

هذا الكتاب منشور في